

## نذور مؤبّدة لثلاث راهبات انطونيّات (دير مار ضوميط 15-1-2012)

يطيب لي قبيل عيد أينا القديس أنطونيوس الكبير أبي الحياة الرهبانيّة أن أشارك قدس الرئيسة العامّة والمدبّرات الفاضلات ورئيسي الرسالتين في أستراليا وفي رشميا وجماعتي ديريهما، وكلّ الانطونيّات والانطونيين، فرحة انضمام نهائي لراهبات ثلاث تركز كلّ شيء لاتباع المسيح، فاتخذن الانجيل دستورا لهنّ تيمّنا بالقديس، وتمرّسن بالحياة الرهبانيّة وتنخرطن في ورشة الجمعية الزاهرة والمنتشرة في أقطار المسكونة. كما أشارك الناشرات أنفسهنّ شاديا ابو أنطون وفرونك كرم وألين غانم هذا الوقت الحاسم من حياتهنّ، وهو ليس سوى تثبيت لخيار اتخذته سابقا وتوكّدن عليه اليوم بكلّ سخاء القلب والفكر، وبنضج عاطفي ونفسي كاف لمثل هذا الخيار الحياتي، على أن يكفل الروح وتضامن الاخوات حسن الأمانة والمثابرة، لا لتخطّي أزمات لم نعد بمحوها، بل لعملية نموّ متصاعد تحافظ على فتوة الروح الذي فيكنّ، فلا تطفئه الايام ورتابتها أو تقلّباتها وبعض خيبات انتظاراتها. وبعد،

تعلمن أنّه مع اعتماد الهيكلية الغربية المحمودة اداريا، حرص مشترعو الحياة الرهبانيّة في هذا الشرق على القول بحفاظهم على الروح الأنطوني وعلى خبرة الأقدمين الوجوديّة، وهي الأهمّ. ومع هذا الشمول، تحتفظ الرهبانيّة الانطونيّة، بفرعيها، بالفتاة أقوى الى القديس أنطونيوس الكبير، لحفاظها الصريح والوضعي على الاسم. إلا انّ السمعاني يقول: "ان الاب أنطونيوس مؤسس السيرة الملائكيّة، ربّ أولاده بالعمل والقول وليس بقوانين مكتوبة، ولا يوجد عنه فرائض أو رسوم محرّرة بكتاب إلا بعض رسائل تتضمّن نصائح رويّة ذكرها القديس ايرونيوس في دفتر مصنّفات العلماء والآباء".

ويُفهم من السرد التاريخي أنّ الحياة الرهبانيّة في هذا الشرق لم تكن منظّمة بدقّة قبل أواخر القرن السابع عشر، فلم يسر الرهبان والراهبات بموجب قوانين ورسوم مفصّلة ومحدّدة، ولم يحتفلوا بنذور علنيّة على النحو الذي عرف في القرون الثلاثة الأخيرة. لقد اعتبروا انّ شهادة الحياة أنصع

وأفعل من ترصيع النصوص، فأخذوا عن القديس فنج الاستشهاد اليومي الذي دشّنه بعد انحسار استشهاد الدم.

لذا سطعت فكرة المعلّم والمعلّمة انطلاقاً من التسليم الكلّي الذي عُرف بالطاعة، ومن هنا انّ اختلافنا عن الرهبنات الغربيّة، أننا نذكر أوّلاً نذر الطاعة، لعلّنا أن الانصياع المحبّ والواثق، والواصل أحياناً الى الموت على الصليب، كفيل بذاته لتأمين سائر السلوكيّات والفضائل.

ثمّ جاء التنظيم ليضع الاطار العام وفيه ابراز النذور المؤقتة أولاً متبوعة بعد وقت بالنذور المؤبّدة، تأمينا لقرار اراديّ مداول، اكثر وعياً وحريةً ونضجاً. وحسناً تفعل القوانين في رسم الأطر العامّة وفي تحديد أصول بعض السلوكيّات، خصوصاً وانّ طريقة فهم السلطة والطاعة وعيشهما قد تأثّرت بالثقافات المتبدّلة، ولكن لا شكّ انّ أحدا اليوم لا يرغب بتوحيدية مفرطة، كما لا يرغب في أن يجماعة ومشاريع جماعيّة منفرطة. فالجوهر يبقى هو هو، ويجب أن يبقى هو هو.

ففيما يكون الجميع في الجماعة مدعوّين الى أن يلتمسوا ما يحسن لله وأن يطيعوه، فإنّ بعضاً منهم مدعوّون الى أن يقوموا عموماً، بصورة موقّعة، بواجب خاص وهو أن يكونوا علامة وحدة وريادة في التماس جامع لمشيئة الله وتتميمها شخصياً وجماعياً. تلك هي خدمة السلطة. انّ معظم الراهبات تعشن الحاليتين بطريقة أم بأخرى، فتُطعن وتُطعن.

انّ التماس مشيئة الله يعني التماس مشيئة حبيبة وعطوفة. فعلى طريق الحب تتفتّح زهرة الاصغاء والطاعة. فالطاعة هي قبل أيّ شيء وضع بنويّ. وقد يطرأ على الشخص المكرّس أن يتعلّم الطاعة من خلال الألم أو من بعض أوضاع خاصّة وصعبة: كأن يُطلب اليه أن يتخلّى عن بعض مشاريع أو بعض أفكار شخصيّة، وألاً يسوس وحده حياته ورسالته. أو عندما يبدو أن ما يُطلب منه، أو من يُطلب منه غير مقنع اقناعاً بشرياً. فمن وجد في مثل تلك الأوضاع، لا ينسَ عندئذ أن الوساطة هي من طبعها محدودة. ولكن فليتذكّر أيضاً، كلّ مرّة يجابه فيها نظاماً شرعياً معيّناً، أن المسيح هو أيضاً "قد تعلّم الطاعة ممّا عانى من آلام" (عبر5، 8).

فنحن ننضمّ الى الربّ عندما نقرّ بحضوره في الوسائط الانسانية وخصوصا في القانون، وفي الرؤساء والرئيسات، وفي الجماعة، وفي علامات الزمن، وفي انتظارات الناس، وبالأخصّ الفقراء منهم، وعندما تكون لنا الشجاعة بأن نرمي شباكنا "بناء على كلمته"، لا لدوافع انسانية لا غير.

وانتّ مدعوّات أيضا الى ممارسة السلطة، عامّة كانت أم خاصة، رهبانية أم تربوية أو اجتماعية. فينبغي أن تعرفن أنّكنّ لن تستطعن القيام بذلك بأمانة إلا اذا سبق فقمتنّ بحجّ يقودكنّ الى التماس مشيئة الله بكثافة واستقامة. فإنّ السلطة هي سلطة ادارية صحيح، ولكنها أيضا وقبل كلّ شيء سلطة روحية. تعلم السلطة أنّها مدعوة الى خدمة هدف يتخطّأها الى غير نهاية، هدف لا يمكنها أن تدنو منه إلا في مناخ صلاة والتماس متواضع يسمح بقبول عمل الروح في قلب كلّ أخ أو كلّ أخت.

هذا ما يصحّ أيضا في الرسالة التي اختارتها الجمعية وأعطتها دفعا واضحا فبلغت فيها شأوا ملحوظا بنجاحه وازدهاره.

لكننا مدعوّون الى اعادة تركيز الجوهر في رسالتنا وهو البعد اللاهوتي ومجالات علم الله التي تعطي معنى لحياتنا ولأفعالنا. وحدها العلاقة القوية بالله قادرة أن تميّزنا عن الآخرين وأن تجعلنا نعطي ما لا يهتمهم أن يعطونه أو ما لا يحترفون نقله.

وحدها الخبرة مع الله تقربنا ممّا هو مركزي في حياة الانسان. انّ خبرة عميقة مع الله ترهف حساسيتنا، وتجعلنا خدّاما وخدامات أكثر منه آمريين وآمرات أو حراس وحارسات عقيدة. انّ الخبرة مع الله هي القوة الوحيدة القادرة أن تحرّض فينا رجاء ثابتا يقوى على التجارب والمصاعب ويجرّك فينا دينامية الارتباط والالتزام في خدمة الحياة. والّا تعرّضنا للسقوط، لا محالة، فينسب الى القديس انطونيوس قوله: "أعرف رهبانا كثيرين، تكبّدوا أتعابا جمّة، لكنّهم ما لبثوا أن سقطوا وتاهوا لأنّهم وضعوا رجاءهم في أعمالهم".

لا أشكّ في وعيكنّ لهذه الركائز، فأرجو لي ولكنّ أن نحافظ على هذا الرباط المتين الكفيل بتغلّبنا على كلّ تجربة تصدّع وتفكّك فينا، فتكون الايام التي يعطيناها الربّ حافزا لثبات أقوى ولمزيد

من العطاء الفرح والسخيّ، فتحقّق الرهبانيّة رسالتها ودورها بما يرضي الله وينال حظوة في أعين الكثيرين، ونومىء بصدق شهادتنا والتزامنا الى مطالع الخير لكثيرين. أجدّد تهابي لكنّ وللرهبانيّة ولأهلكنّ الأعزّاء، والى مزيد من الدعوات الصادقة.

الاب انطوان راجح

النائب العام الانطوي